تفسير روح البيان

للشيخ اسماعيل حقي البروسوي

المجلد السادس

من تفسير روح البيان

﴿ تفسير سورة الحج مكية الاست آيات من (هذان خصمان) الى آخر (الحميد) ﴾
﴿ وهى ثمان وسبعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ يا ايها الناس اتقوا ربكم ﴾ اى احذروا من عقوبة مالك اموركم ومربيكم بطاعته ﴿ ان زلزلة الساعة شئ عظيم ﴾ الزلزلة التحريك الشديد بطريق التكرير كما يدل عليه تكرير الحروف لان زلزل مضاعف زل والساعة عبارة عن القيامة سميت بذلك لسرعة حسابها كما فى المفردات * اختلف العلماء فى وقت هذه الزلزلة * فقال بعضهم تكون فى الدنيا قبيل طلوع الشمس من مغربها فيكون الذهول والوضع الآتيان على حقيقتهما * وقال بعضهم تكون يوم القيامة فيحملان على التمثيل والاظهر ما قال ابن عباس رضى الله عنهما ان زلزلة الساعة قيامها فيكون معناها ان الزلزلة الواقعة عند قيام الساعة شئ عظيم لا يحيط به الوصف فلابد من التقوى لتخليص النفس من العذاب ﴿ يوم ترونها ﴾ منتصب بما بعده اى وقت رؤيتكم تلك الزلزلة ﴿ تذهل كل مرضعة عما ارضعت ﴾ الذهول الذهاب عن الامر مع دهشة والمرضعة المرأة المباشرة للارضاع بالفعل وبغير التاء هى التى من شأنها الارضاع لكن لم تلابس الفعل ومثالها حائض وحائضة والتعبير عن الطفل بما دون من لتأكيد الذهول وكونه بحيث لا يخطر ببالها انه ماذا اى تغفل مع حيرة عما هى بصدد ارضاعه من طفلها الذى ألقمته ثديها اشتغالا بنفسها وخوفا : وبالفارسية [غافل شود وفراموش كند از هيبت آن هر شير دهنده از آن فرزندى كه وير اشير ميدهد باوجود مهربانى مرضعه بردنيه] اى لوكان مثالها فى الدنيا لذهلت المرضعة عما ارضعته لغير فطام وكذا قوله

(تعالى)

لاموركم من غاية الضعف والافراد باعتبار كل واحد منهم اوبارادة الجنس المتناول للواحد والمتعدد والطفل الولد مادام ناعما كما فى المفردات * وقال المولى الفنارى فى تفسير الفاتحة حد الطفل من اول مايولد الى ان يستهل صارخا الى انقضاء ستة اعوام ﴿ ثم لتبلغوا اشدكم ﴾ علة لنخرجكم معطوفة على علة اخرى مناسبة لها كأنه قيل ثم نخرجكم لتكبروا شيأ فشيأ ثم لتبلغوا كما لكم فى القوة والعقل والتميز وهو فيما بين الثلاثين والاربعين * وفى القاموس مابين ثمانى عشرة الى ثلاثين واحد جاء على بناء الجمع كآنك ولانظير لهما انتهى ﴿ ومنكم من يتوفى ﴾ اى يقبض روحه ويموت بعد بلوغ الاشد اوقبله والتوفى عبارة عن الموت وتوفاه الله قبض روحه ﴿ ومنكم من يرد الى ارذل العمر ﴾ وهو الهرم والخرف والارذل والرذال المرغوب عنه لرداءته والعمر مدة عمارة البدن بالحياة ﴿ لكيلا يعلم من بعد علم ﴾ كثير ﴿ شيأ ﴾ اى شيأ من الاشياء اوشيأ من العلم وهو مبالغة فى انتقاص علمه وانتكاس حاله والا فهو يعلم بعض الاشياء كالطفل اى ليعود الى ماكان عليه اوان الطفولية من ضعف البنية وسخافة العقل وقلة الفهم فينسى ماعلمه وينكر ماعرفه ويعجز عما قدر عليه وقد سبق بعض مايتعلق بهذه الآية فى سورة النحل عند قوله تعالى (والله خلقكم ثم ثم يتوفيكم) الآية : قال الشيخ سعدى قدس سره

طرب نوجوان زپير مجوى * كه دكر نايد آب رفته بجوى
زرع راجون رسيد وقت درو * نخرامد جنانكه سبزهٔ نو

وقال

جو دوران عمر از جهل در كذشت * مزن دست وپاكاب از سر كذشت
بسبزى كجا تازه كردد دلم * كه سبزى نخواهد دميد از كلم
تفرج كنان در هوا وهوس * كذشتيم بر خاك بسيار كس
كسانى كه ديكر بغيب اندرند * بيايند وبر خاك مابكذرند
دريغا كه فصل جوانى كذشت * بلهو ولعب زندكانى كذشت
چه خوش كفت باكودك آموزكار * كه كارى نكرديم وشد روزكار

* قال النسفى فى كشف الحقائق [اى درويش جهل پيش ازعلم دوزخست وجهل بعد ازعلم بهشت است ازجهت آنكه جهل پيش از علم سبب حرص وطمعست وجهل بعد ازعلم سبب رضا وقناعت است] * وفى عرائس البقلى ارذل العمر ايام المجاهدة بعد المشاهدة وايام الفترة بعد المواصلة لكيلا يعلم بعد علم بماجرى عليه من الاحوال الشريفة والمقامات الرفيعة وهذا غيرة الحق على المحققين حين افشوا اسراره بالدعاوى الكثيرة استعيذ بالله واستزيد منه فضله وكرمه ليخلصنا به من فتنة النفس وشرها ﴿ وفى التأويلات النجمية فى الآية اشارة الى ان اطفال المكونات كانوا فى ارحام امهات العدم متقررين بتقرير الحق اياهم فيها ولكل خارج منها اجل مسمى بالارادة القديمة والحكمة الازلية فلايخرج طفل مكون من رحم العدم الا بمشيئة الله تعالى واوان اجله وهذا رد على الفلاسفة يقولون